مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 10 عدد: 3 السنة: 2021
ص: 88 - 100 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

الالتباس في فهم التعابير الاصطلاحية ؛ بحث في التأويل الدلالي والتداولي

Ambiguity within understanding idioms
-A research in semantic and pragmatic interpretation-

خيرة حواس[1] * ، بوشيبة عبد القادر[2]

Khira Haouas[1] , Bouchiba abdelkader[2]

جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان/ الجزائر[1]

المركز الجامعي مغنية – تلمسان/ الجزائر [2]

مخبر المعالجة الآلية للغة العربية /تلمسان

Abou Bekr Belkaid University - Tlemcen/ Algeria[1]

University Centre of maghnia - Tlemcen/ Algeria[2]

elhaouasdz@gmail.com[1] bouchiba_aek@yahoo.com[2]

تاريخ الإرسال: 2020/11/07	تاريخ القبول:2021/03/31	تاريخ النشر : 2021/09/02

مُلخّص البحث

تعد التعابير الاصطلاحية واحدة من الأساليب التي يصعب الوصول لمعناها من خلال معاني المفردات المكونة لها، وإنما يصل المتلقي إلى معناها من خلال دلالة التركيب الكلية، وتكتسب تلك التعابير معانيها من خلال اتفاق أبناء اللغة الواحدة عليها، وهذا ما يؤدي إلى الالتباس في فهم معناها، مما يجعل المتلقي يقع في التأويل للوصول إلى تلك المعاني الضمنية، وللتأويل منزلتان من التفكير؛ تفكير وصفي: وهو الذي لا يتجاوز الدلالة المعجمية لمفردات التعبير، وتفكير إشاري: والذي يتعدى بذلك إلى الاستدلال على تلك المعاني الضمنية للتعبير الاصطلاحي المتداولة في المجتمع، وهذا ما سينطلق منه البحث في تحليله لبعض التعابير الاصطلاحية.

الكلمات المفتاحية : اِلتباس– تعابير اصطلاحية – تأويل– دلالة – تداولية.

Abstract :

Idioms are difficult to understand if we focus on the meaning of each one of the components, They are only understood only as one semantic unit, These idioms seem to have a conventional meaning within each language speakers, Thus a foreign receiver may be lead to confusion, in such a way to be obliged to interpret to get their implicit meaning, Interpretation has two steps of thought: the first is descriptive limited to lexical meaning of the expression's words, the second is allusive that explores the implicit signification of the idiom used in society, This is the departure point of this study to analyse some idioms.

* خيرة حواس: elhaouasdz@gmail.com

Keywords: Ambiguity- idioms- interpretation- semantic- pragmatic.

تمهيد:

إنّ الالتباس من أهم الظواهر التي تثير الجدل والنقاش بين المؤلفين، وقد تناول هذه الظاهرة القليل من العلماء؛ ذلك لأن الالتباس يقع في ذهن القارئ أو السامع، ويقصد به الغموض في فهم المعنى، إذا تعدد واحتمل أكثر من تأويل واحد في تعبير اصطلاحي واحد.

وقد اطلق على مصطلح الالتباس عدة مصطلحات منها: اللبس- الإبهام- الغموض- الغريب...، وقد طبقنا هذه الدراسة على بعض التعابير الاصطلاحية، ليكون موضوع البحث: **الالتباس في فهم التعابير الاصطلاحية – بحث في التأويل الدلالي والتداولي–**

1- مفهوم الالتباس ambiguity :

يطلق على لفظة الالتباس مصطلح الغموض فهو سمة من سمات بث لغوي ما، باعتبار جهة المستقبل لا المرسل، وسمي الغموض بهذا الاسم لأنه خلاف الوضوح بمعنى الغامض من الكلام يغيّب المعنى، وحتى وإن كانت ألفاظه بين يديك حسا، في سماع كلام منطوق أو قراءة ما هو مكتوب، وكما أن قرارة الوادي بعيدة عن الواقف على سطحه، كذلك المعنى البعيد، فإنه بعيد عن القارئ غير المتمرس بفهم الغامض من الكلام[1].

وقد ورد تعريف "اللبس" في ملف عبد السلام السيد حامد، حيث عرفه إلى جانب الإبهام بقوله: "مصطلح اللبس هو الإبهام يمثلان معا ما يستعمل في الدلالة على الغموض في مجالنا هذا، فهو كالإبهام أيضا في ارتباطه بالدلالة وعدم وضوح المعنى، غير أنه أكثر استعمالا منه، وذلك لأنه لا يختص بغموض المعنى في المواضع التي أشرنا إليها، بل لأنه يطلق على هذا الغموض ووقوع الاختلاط في المعنى على مستوى الجملة بصفة عامة أيّا كان سببها ..."[2]

وما يفهم من خلال قول عبد السلام أن اللبس أكثر استعمالا من الإبهام، لان الإبهام يختص بمواضع واللبس يختص بمواضع أخرى، بمعنى أن الالتباس يقع في أي جملة مهما كانت.

2- مفهوم التعابير الاصطلاحيةIdioms :

اختلف اللغويون حول مصطلح التعابير الاصطلاحية فمنهم من أطلق عليها مصطلح الأمثال والمماثلة والتمثيل خاصة اللغويين القدامى كعبد القاهر الجرجاني وأبو هلال العسكري وقدامى بن جعفر

وغيرهم[3]، ومنهم من أطلق عليها مصطلح التعابير الأدبية والمسكوكات اللفظية والتعابير السياقية وغيرها من المصطلحات، خاصة عند اللغويين المحدثين كزكي مبارك واسماعيل مظهر وتمام حسان ومحمود فهمي حجازي[4]، لكننا سنقف على المصطلح الذي أجمع عليه أغلبية اللغويين في الدراسات الحديثة وهو مصطلح التعابير الاصطلاحية وقد عرفه أحمد مختار عمر: "هو عبارةٌ لا يُفهم معناها الكُلّي بمجرد فهم معاني مفرداتها وضمّ هذا المعاني بعضها إلى بعض، وفي هذه الحالة يوصف المعنى بأنه تعبيري idiomatic"[5]، أما محمود إسماعيل صالح (صيني سابقا) فقد عرفه: "هو مجموعةُ كلماتٍ تُكَوّن بمجموعها دلالةً غير الدلالة المعجمية لها مفردةً ومركبةً، وهذه الدلالةُ تأتيها من اتفاق جماعةٍ لغويةٍ على مفهومٍ تُحمّله لهذا التجمع اللفظي"[6]، ومن أمثلة ذلك:

- لكل جواد كبوة: الخطأ.
- ذر الرماد في العيون: التضليل والمغالطة.
- الذئب لا يهرول عبثا: الخبث والمكر.

ومصطلح التعابير الاصطلاحية يقابله مصطلح "**Idioms**" في اللّغة الانجليزية الذي أجمع عليه معظم اللغويين في الدراسات الغربية حيث عرفه(**Nida, E,A**) قائلا: "مجموع الكلمات التي تمتلك تراكيبها معاني حرفية وغير حرفية، لكن العلاقة بين المعنيين لا يمكن أن توصف بأنها ناتج تجميعي لمكوناتها...ويجب أن تعامل معاملة الوحدات الدلالية المفردة **Single Semantic Units**"[7]

3- مفهوم التأويل: interpretation

إنّ الإحاطة بموضوع يشمل الالتباس ،يشدنا آليا إلى الحديث عن التأويل الذي يرتبط به، ولضبط مدلولات المصطلح سنعرض مفهومه الاصطلاحي لدى الفلاسفة والمناطقة ثم الأصوليين.

لقد اختلف العلماء في تعريف التأويل وذهب كل منهم إلى تعريف يتماشى ومذهبه وهناك من عده أنه يرادف التفسير؛ "وهو الكلام الذي يوضح شيئا خفيا ويبيّنه، قد يكون التفسير كلاما منطوقا أو مكتوبا، كما قد يكون بطرق أخرى من طرق البيان والإيضاح..."[8].

أ- التأويل عند الفلاسفة والمناطقة:

التأويل في المفهوم اللغوي هو "أخذ المعنى على غير معنى الكلمة بتجاوز الظاهر إلى الخفي" وهذا التعريف هو الأقرب أن يأخذ المعنى الاصطلاحي وفي هذا ننقل عن الدكتور عادل مصطفى:

"ليس هناك حقائق هناك فقط تأويلات كما يقول **نيتشه**، ونظرية التأويل هي المبحث الخاص بدراسة عمليات الفهم، وبخاصة فيما يتعلق بتأويل النصوص"[9].

ويؤكد نصر حامد أبو زيد أن الفضل يعود للمفكر الألماني **شاير ماغار** في نقل المصطلح من دائرة الاستخدام اللاهوتي ليكون علما أو فنا لعملية الفهم وشروطها في تحليل النصوص[10]، وهكذا تباعد **شاير ماغار** بالتأويلية بشكل نهائي عن أن تكون في خدمة علم خاص، ووصل بها إلى أن تكون علما بذاته يؤسس لعملية الفهم، وكذلك اعتمد الصوفية على التأويل بالمعنى الاصطلاحي حيث ردّ أبو حفص شهاب الدين عمر بن مُحَمَّد (ت63هـ) أن: "التأويل صرف الآية إلى معنى تحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه يوافق الكتاب والسنة، ويختلف في ذلك باختلاف ما المؤول من صفاء الفهم والمعرفة والقرب من الله"[11].

نلاحظ من خلال هذه التعريفات أن التأويلات عديدة وتختلف من مؤول إلى آخر، ولكن لا يخرج عما يوافق الكتاب والسنة، كما خصص **ابن رشد** فصل المقال والكشف للتساؤل عن إشكالية التأويل وأصح تأويل في نظره هو: "ما ينتج عن القياس، على أنّ القياس المنطقي أجزاء ومقدمات لابد من معرفتها، ولكن معرفتها تحتاج إلى مران طويل، فإنّ معرفة المنطق وآلياته هي معرفة صنف خاص من الناس، ألا وهو الخاصة"[12].

ومن خلال ذلك يمكن معرفة أجزاء ومقدمات القياس ولذلك أشار إلى أن هذه المعرفة تحتاج إلى تأويل بين صنف من الناس، ووفق تطورات الفلسفة الحديثة كان لزاما أن تنتقل الكثير من التخصصات العلمية والنظريات الفلسفية من مجال اختصاصاتها إلى آفاق التخصصات الأخرى لتتفق معها في حدود ما يسمح أن تشترك فيه، ولعل هذا ما يفسر انتقال العديد من النظريات والمناهج العلمية والفلسفية من دائرة تخصصاتها الأصلية إلى دائرة النقد الأدبي وإن إعمال التأويل بدوره نظرية فلسفية قديمة وحديثة على النصوص الأدبية المقدسة الأولى إلى غاية القرآن الكريم هي ذاتها السبل التي يمكن أن تؤسس لعمل فعّال على النص الأدبي القديم والحديث على السواء، ومن أن التأويل آلية فكرية تقتضي إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية[13]، وهذا ما يؤكده ابن رشد في قوله:" التأويل إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل ذلك بعادة اللسان العربي في التجاوز"[14].

ب– التأويل عند الأصوليين:

يعد التأويل عند الأصوليين مرادفا للتفسير، وهذا ما يؤكده دعوة **الرسول** – ﷺ– **لابن عباس** – رضي الله عنه– " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"[15] ، فالتأويل الذي استعمله ابن عباس هو إدراك دلالات آيات القرآن الكريم، أو العلم بها والتيقظ لمحتواها، كذلك ارتبط التأويل في تراثنا القديم بمصطلح التفسير حيث نجده خاصة في الاستعمال اللغوي، وهذا ما جعل البعض يساوون بين التفسير والتأويل[16]، خير دليل على ذلك ما جاء في قول أبي عبيدة (ت 210هـ) صاحب كتاب مجاز القرآن: "التفسير والتأويل واحد"[17]، وكما ذهب في ذلك ابن جرير الطبري (ت310هـ) في استعماله كلمة التأويل في معنى التفسير:" فإذا أراد أن يفسر الآية من القرآن يقول: (القول في تأويل قوله تعالى...)، ثم يفسر الآية[18] ، ومن بين الذين لم يفرقوا بين التأويل والتفسير نجد الصحابة والتابعين إذ أنهم توصلوا إلى عدم التفرقة بين المصطلحين، حيث استقل التأويل عن التفسير مما استدعى القول في بيان الفرق بينهما، ويتضح أن كلمة تفسير القرآن عني بها الإيضاح والبيان والكشف، وبناء على المناقشة التي جرت لمعنى كلمة تفسير في اللغة والاستخدام القرآني يمكن رؤية أن معناها واحد على المستويات الثلاثة وهو البيان والإيضاح وكشف دلالة الألفاظ، وبالعودة إلى معاني التأويل في اللغة، يعرف أن بينهما (التفسير والتدبر) والذي لا يخرج عن كونه تفسير وإيضاح وبيان معاني الآيات[19]، وبناء على ذلك لا يختلف التأويل في معناه اللغوي عن التفسير وذلك من خلال مستوياته الثلاثة – اللغوية والاصطلاحية والدينية– والملاحظ أيضا أن التأويل عند المسلمين الأوائل كان يعني التفسير.

ومن بين الذين فرقوا بين التأويل والتفسير نجد جلال الدين السيوطي (911هـ) قد ميّز تمييزا دلاليا واضحا بين لفظ "التأويل" و"التفسير" ، من حيث ارتباط كل منهما بالآخر، وتكمن حاجة المفسر أو المؤوّل إليهما معا ذلك أنّ الأساس هو شرح معاني الكلمات المفردة، والتأويل استنباط دلالة التراكيب، بما تحتويه من حذف وإضمار وتقديم وتأخير وحقيقة ومجاز"[20]، حيث قال في ذلك:" التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها، بما ظهر من الأدلة"[21]، ونستشف من كلام السيوطي أن التفسير ما هو إلا مرحلة من مراحل التأويل، ومن بين الذين فرّقوا بين المصطلحين نجد أيضا **موشلر** إذ يقول:" عندما نتحدث عن التأويل فإننا نشير إلى العملية التي تعين معينة لملفوظ معين، وتلك هي القيمة المقصودة"[22]، حيث يقصد أن الغاية التي يرمي إليها التأويل هي إدراك القصد الحقيقي من الخطاب وهذا ما لا نجده في التفسير.

لقد تباينت أقوال العلماء في التمييز بين مصطلحي التفسير والتأويل، فمنهم من يرى التفسير ما اقتصر على الرواية بالمأثور والإتباع والسماع، وانّ التأويل هو ما تعلق بالدراية والاستنباط فمنهم من عرف التفسير بأنه علم يبحث فيه كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاته واحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وعلى هذا فإن التفسير يتناول سطح اللفظ أي ظاهره، أما التأويل يتناول عمق اللفظ أي باطنه ويعمد إلى ترجيح أحد محتملاته فهو متعدد، لكن التعريف الأقرب لموضوع البحث هو تعريف أبي حامد الغزالي، ويقتصر في تعريفه للتأويل على نوع واحد وهو التأويل الصحيح، حيث يقول: "**التأويل عبارة عن احتمال يعضده دليل، يصير به أغلب الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر ويشبه أن يكون كل تأويل صرفا للفظ عن الحقيقة إلى المجاز**"[23].

4- مفهوم الدلالة semantic :

يعرفها الشريف جرجاني فيقول:" الدلالة هي كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم لشيء آخر، الشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح العلماء محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، واقتضاء النص"[24]

من خلال هذا التعريف يتضح لنا أن الدلالة لها عنصرين هما الدالّ والمدلول وهدفها الوصول إلى المعنى فهي مقصورة في أقسام ثلاثة: عبارة النص، إشارة النص، واقتضاء النص.

ويعرفها أحمد مختار عمر:" ذلك الفرع من علم اللغة الذي تناول نظرية المعنى"[25]، كما يعرفها محمود السعران بقوله:" علم الدلالة أو دراسة المعنى، هو فرع من فروع علم اللغة وهو غاية الدراسات الصوتية، والفسيولوجية النحوية، والقاموسية ..."[26]

نلاحظ مما سبق ذكره أن علم الدلالة بمعنى دراسة المعنى وهو فرع من فروع علم اللغة، إلا أن محمود السعران أضاف عليها علوما أخرى منها: علم الأصوات والنحو وغيرها...

5- مفهوم التداولية pragmatic :

عرفها حافظ إسماعيل علوي قائلا:" أنها نسق معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها اللفظية والخطابات ضمن اقوالها التخاطبية... وقضية التداولية إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي"[27]، فهو بذلك يشير إلى أن التداولية علم يرى اللغة بوصفها علما تخاطبيا تواصليا يعني بالأبعاد الاستعمالية للغة.

ويذهب كل من خليفة بوجادي ومسعود صحراوي في تعريفهما للتداولية إلى المعنى الذي ذهب إليه الدكتور حافظ إسماعيل علوي فيعرفها الأول:" بأنها دراسة اللغة حالة الاستعمال، حينما تكون متداولة بين مستعمليها"[28]، وعرفها الثاني "علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال استعمالاتها"[29]، وخلاصة القول أن التداولية هي دراسة اللغة انطلاقا من حقيقة استعمالاتها، وهي التواصل.

5- أسباب الالتباس في فهم التعبير الاصطلاحي:

- **مجازية المعنى**: معاني التعابير الاصطلاحية غير مباشرة فهي تعابير لا تستمد معانيها من مجموع المعاني الوضعية المباشرة لأجزائها ولكنها تستمد معانيها من هذه الأجزاء ككل.
- **اصطلاحية المعنى**: من خصائص التعابير الاصطلاحية أن الجماعة اللغوية اتفقت فيما بينها على معانيها، فالاصطلاح في هذه التعابير عام بين أبناء اللغة وليس بين طائفة منهم فقط.
- **ارتباط التعابير الاصطلاحية بالثقافة**: ويتعلق بخاصية الاصطلاحية في معاني هذه التعابير علاقتها بالثقافة لأن لغة أي مجتمع تعتبر مظهرا من مظاهر ثقافته ومحاولة فصل اللغة عن الثقافة يعد عملا منافيا لطبيعة كل منهما، واللغة تشكل جزءا من الوعي الثّقافي للجماعة اللّغوي[30].
- **الجهل بالظروف والملابسات التي تحيط بنشأة التعابير الاصطلاحية**: تبرز الاختلافات من مجتمع إلى آخر في تلك التعابير المتداولة في لغتهم، والتي تعكس كثيرا من جوانب الحياة كالبيئة والعادات والتقاليد والمعتقدات، وكنتيجة حتمية لتأثر الانسان بهذه الجوانب تظهر تعابير اصطلاحية تستعصي على الفهم، والبحث عن الظروف التي نشأ فيها التعبير الاصطلاحي قد يزيل هذا الغموض، وهذا ما يسمى في الصناعة المعجمية الحديثة بـ"**التأثيل أو التأصيل الاشتقاقي**" وهو: "تلك المعلومات التي تبحث في "تاريخ الكلمة وأصولها وما يعتريها من تغير في المعنى والمبنى...فمعرفة المباني والمعاني الأصلية للكلمة قد يساعد في توسيع مداها الدلالي؛ أي توظيفها لمعاني جديدة ترتبط بشكل ما بالمعنى الأصلي، وهذه الوظيفة مهمة جدا في المعاجم التأصيلية والتاريخية التي ترصد الكلمات وتغير أصواتها ومعانيها"[31].
- **صعوبة الترجمة الحرفية**: يصعب ترجمة التعبير الاصطلاحي إلى لغة ثانية ترجمة حرفية لعدم وجود مقابل حرفي في كثير من الأحيان، ولشدة ارتباط ذلك التعبير بلغته ارتباطًا وثيقا مما قد تؤدي ترجمته إلى اختلال في المعنى، وصعوبة ترجمة هذه التعبيرات من لغة إلى أخرى تعود إلى الأسباب التي سبق ذكرها، فمثلا التعبير الاصطلاحي "**بلغ السيل الزُّبى**" الذي يعنى "جاوز الأمر حده"، لا نجد له تعبيرا

اصطلاحيا يكافئه في الانجليزية، لذلك يتحتم على المترجم أن يكتفي بالترجمة البراغماتية، حيث عليه أن يفك رموز التعبير ويفهم معناه ويستخرج بنيته العميقة فيترجمه إلى"**Become unbearable**"، بغض النظر عن بنيته النحوية أو شكله أو عدد كلماته...ورغم أن هذا الاجراء يقضي على اللمسة الفنية للتعبير، إلا أنه يبقى الحل الوحيد للخروج بترجمة مفهومة ترضي القارئ[32].

– 06– التأويل الدلالي والتأويل التداولي للتعابير الاصطلاحية:

سبق أن أشرنا إلى أن معنى التعابير الاصطلاحية لا يؤخذ مباشرة من المعاني المعجمية للمفردات التي تدخل في بنائه، بل إن معنى هذه التعابير ذو طبيعة اصطلاحية مجازية، وهذا ما يؤدي إلى الالتباس والغموض في فهم معناه، وبيان ذلك أن الكلمات والتعابير لها معان تعرف من مخزون اللغة في المعجم والصرف والنحو والاستعمال، وهذا الأخير – الاستعمال– يتضمن السياق والمقام، والأصل في معرفة الدلالات هو الاعتماد المباشر على هذا المخزون، فقد نتعثر في معرفة لفظة غريبة فنرجع إلى المعجم فنقع على معناها، فتنتهي المشكلة، وقد نقع على لفظة شائعة على الألسن، لكن لها استعمالا لم نألفه ولم نعرفه، ونرجع إلى المعجم فنعثر على المعنى الذي يختص به هذا السياق، وتنتهي المشكلة أيضا[33]، فمتى يقع التأويل إذن؟

يدخل المتلقي في دائرة التأويل عندما يخرج معنى التعبير إلى دلالات كثيرة، تقتضيها المواقف المختلفة، فمن ذلك قول أحدهم: "هذا الشبل من ذاك الأسد"، فليس في هذا التعبير إي إخبار عن أسد وشبل، ولكنه إخبار عن ولد ووالد، هذا هو المفهوم العام لهذا التعبير، ولكن ما تكتنزه هذه العبارة من معان أكثر من ذلك، فهي في الحقيقة تتحدث عن الولد أولا، باعتباره صاحب الموقف الذي يجعلنا نردد التعبير، وهي تتحدث عن الوالد ثانيا، باعتباره صاحب مواقف مشهودة سابقة، وهي تتحدث عن احتذاء الولد حذو والده ثالثا، فالذي يفهم من هذا التعبير إذن ليس المدلولات المباشرة للألفاظ، ولا هو من الإيحاء، وإنما هو الدلالات التي يتداولها الناس فيما بينهم جعلتهم يتداولون التعبير في مواقف مشابهة للموقف الذي أنشئ فيه كل تعبير[34].

وللتأويل منزلتان من التفكير، أولاهما: ما يمكن أن نسميه التفكير الوصفي، وثانيتهما: التفكير الإشاري، أما التفكير الوصفي ففيه يقف المتلقي على السمات الوصفية لكل مفردة من مفردات التعبير الاصطلاحي التي تحتاج إلى تأويل، ولا يتجاوز المؤول في هذه المرحلة المعطيات الدلالية التي يمنحها المعجم في إطار "الدلالة المعجمية"، وهو بعد لغوي على كل حال، وإن كان يخرج عن أصل الدلالة المعجمية لمفردات

التعبير، وخير مثال على ذلك التعبير "فلان يأكل الناس" التي تعني في أول ما يتبادر إلى ذهنك أن "شخصا يأكل وجبة مكونة من الناس"، ومن ثم فإنك لم تكن قد خرجت عن الدلالة اللغوية لمفردات التعبير، ولا يتجاوز التفكير الوصفي المعرفة الصرفية أو النحوية المتداولة.

أما التفكير الإشاري في بناء التأويل فإنه يتجاوز ذلك كله، فلا يمكن أن يتسع له التعبير، إذا لم يكن في التعبير نفسه سمات معينة، أولها وجود قرينة بين التعبير ودلالته، تسمح بإنشاء جملة من العلاقات المتبادلة بين التعبير ودلالته الاصطلاحية والاجتماعية والفكرية[35]، فإذا وجدت هذه القرينة أمكنك التأويل والوقوع على المعاني الضمنية لهذا التعبير، لذلك يكون التأويل التداولي في التعبير السابق "فلان يأكل الناس" هو "الغيبة والتكلم في أعراض الناس"، مصداقا لقوله تعالى: "... وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ" [الحجرات/12].

والحديث عن المعاني الضمنية يقتضي وجوب تحديد آليات يتم من خلالها الوصول إلى دلالة هذه المعاني ومقاصدها البعيدة، ومعنى ذلك أن العملية تستدعي التمييز بين معنيين: معنى حقيقي ومعنى مجازي، حيث يجب ان ننطلق من افتراض مفاده أن العمود الأساس في التواصل هو أن الملفوظ لا يمكن أن يفهم دائما على حقيقته المصرح بها، بل قد ينتج عنه معنى مجازي يتم التوصل إليه وإدراكه عن طريق عملية استدلالية، وهذا يقتضي من المتلقي أن يكون عارفا بالدلالة الحقيقية للألفاظ في المعجم، لتكون كمنطلق يستدل من خلاله في مقام تواصلي محدد على معنى مستلزم ضمني، وغالبا ما تكون هذه التضمينات هي القصد الأساس الذي تحمله ملفوظات اللغة الطبيعية، إلا أن هذا الاستدلال لهذه السيرورة لا بد وأن تحمل آثار الشروط التي تتجلى في كفايتنا اللغوية وغير اللغوية، إذ تساعدنا على إنجاز وفهم وتأويل التعابير الاصطلاحية، ومعنى هذا أن التأويل ينبغي ان يستند على كفاية تعتمد على مبادئ بعضها لساني، وبعضها غير لساني لوصف العمليات الاستدلالية الضرورية التي ينجزها المتلقي بهدف الوصول إلى إدراك المعنى المقصود، ووصف هذه العمليات لا يتأتى للواصف التداولي إلا بأن يضيف إلى المعلومات اللسانية التي ينقلها الملفوظ المعلومات غير اللسانية أي المقامية، التي تعد ضرورية لتحقيق العملية الاستدلالية، والتعابير الاصطلاحية الآتية توضح ذلك:

– **لحاجة في نفس يعقوب**: وافقت إسرائيل على وقف إطلاق النار **لحاجة في نفس يعقوب**.

أ– الدلالة المعجمية: أوّل ما يتساءل به المتلقي عند سماع هذا التعبير الاصطلاحي، من هو يعقوب؟ وما الحاجة التي في نفسه؟

في هذه الحالة سيعود المتلقي إلى معجم من معاجم الألفاظ ويبحث عن دلالة كل مفردة من مفردات التعبير (حاجة- نفس- يعقوب)، لكنه لن يتوصل إلى دلالته بضم هذه المعاني بعضها إلى بعض.

ب- الدلالة التداولية: أما في هذه الحالة سيعمل المتلقي على تشغيل آلية الاستدلال لفهم قصد المتكلم، ثم ينطلق من المعرفة المشتركة المستمدة من الموروث الديني وما ذكر في القرآن الكريم، قال تعالى: "وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ **حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا** وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ" [يوسف/68]، حينها سيدرك المتلقي أن الدلالة التداولية للتعبير هي: "وافقت إسرائيل على وقف إطلاق النار **لسبب غير معروف**".

- **ركب أعجاز الإبل:** من أجل أن أحقق طموحي **ركبت أعجاز الإبل**.

أ- الدلالة المعجمية: العَجُزُ:.. والجمع منه أعجاز، مؤخر الشيء، ويريد به أواخر الأمور، **وأعجاز الإبل** : أي مآخيرها...[36]

يدل هذا التعبير في ظاهره أن المتكلم قد ركب مآخير الإبل لتحقيق طموحه، مما يجعل المتلقي يحاول أن يربط بين دلالتين "تحقيق الهدف" و"ركوب مآخير الإبل"، وهذا ما يؤدي إلى الالتباس في فهم معناه، ومن أجل الوصول إلى دلالته الضمنية يجب أن يؤول ما يقصده المتكلم أثناء تداول هذا التعبير الاصطلاحي.

أ- الدلالة التداولية: عندما يكون التعبير السابق –ركب أعجاز الإبل- غامضا على المتلقي، حينها سينطلق المتلقي من مبدأ أن المتكلم قد خرق الطريقة التي يلزمه بالوضوح في كلامه، وهذا ما سيجعل المتلقي يتجاوز المعنى الحرفي لهذا التعبير الاصطلاحي بحثا عن المقصد الضمني الذي أراده المتكلم، وفضل تضمينه مراعاة للقوة البلاغية والفنية للتعبير، عندها سيصل إلى المعنى الضمني لهذا التعبير الاصطلاحي وهو "من أجل أن أحقق طموحي **تحملت المصاعب والشدائد**".

- **بين المطرقة والسّندان:** وقع فلان بين المطرقة والسّندان.

أ- الدلالة المعجمية: السندان: حديدة عريضة يطرق الحداد عليها الحديد[37].

ب- الدلالة التداولية: يعد هذا التعبير غامضا للمتلقي، حينها يحاول الوصول إلى مقصد المتكلم الضمني، عندها سيحاول تجاوز المعنى الحرفي للتعبير، للوصول إلى المعنى الضمني، وهو وقع فلان **بين أمرين كلاهما شر**"

– **بلغ السيل الزبى**: كتب عثمان إلى علي، رضي الله عنهما لما حوصر: أما بعد فقد **بلغ السيل الزُّبى** وجاوز الحزام الطبيين ، فإذا أتاك كتابي هذا فأقبل إليّ، عليّ كنت أم لِي[38].

أ– الدلالة المعجمية: الزبى: جمع زبية وهي الرابية التي لا يعلوها الماء وقيل : إنما أراد الحفرة التي تحفر للأسد ولا تحفر إلا في مكان عال من الأرض لئلا يبلغها السيل فتنطم[39].

ب– الدلالة التداولية: يقال هذا التعبير الاصطلاحي للأمر الذي تجاوز حده إلى أن لا يستطيع المرء السكوت عنه.

خاتمة:

كخلاصة لما تطرقنا إليه في هذا المقال الذي يهدف إلى الإحاطة بإشكالية من إشكاليات الالتباس في فهم التعابير الاصطلاحية، لأنها تشكل غموضا لدى المتلقي خاصة غير المتمرس بتراكيب اللغة العربية، وعليه يمكن تلخيص مضمون البحث فيما يلي:

– يقع الالتباس في ذهن المتلقي بسبب عدم الوصول إلى معنى التعبير الاصطلاحي، لأن هذا الأخير هو مجموعةُ كلماتٍ تُكَوِّن بمجموعها دلالةً غير الدلالة المعجمية لها مفردةً ومركبةً، وهذه الدلالةُ تأتيها من اتفاق جماعةٍ لغويةٍ على مفهومٍ تُحمِّله لهذا التجمع اللفظي.

– يجب ان ينطلق المتلقي من افتراض مفاده أن العمود الأساس في التواصل هو أن الملفوظ لا يمكن أن يفهم دائما على حقيقته المصرح بها، بل قد ينتج عنه معنى ضمني يتم التوصل إليه وإدراكه عن طريق عملية استدلالية تأويلية.

– يتم الوصول إلى دلالة التعبير الاصطلاحي عن طريق التأويل، وللتأويل منزلتان؛ تفكير وصفي: وفيه يقف المتلقي على الدلالة المعجمية لمفردات التعبير الاصطلاحي، وتفكير إشاري: حيث يتجاوز فيه المتلقي التفكير الوصفي، للاستدلال على المعاني الضمنية التي تسمح بإنشاء جملة من العلاقات المتبادلة بين التعبير ودلالته الاصطلاحية والاجتماعية والفكرية، ولا يتم التفكير الإشاري إلا بالتفكير الوصفي.

هوامش:

[1]– سمير شريف استيتية: اللسانيات (المجال، والوظيفة، والمنهج)، عالم الكتب الحديث، اربد (الأردن)، ط2، 2008، ص709.

[2]– عبد السلام السيد حامد: الشكل والدلالة؛ دراسة نحوية للفظ المعنى، دار غريب، القاهرة (مصر)، 2002، ص 155،156.

[3]– انظر، عصام الدين عبد السلام أبو زلال: التعابير الاصطلاحية بين النظرية والتطبيق، أجيال للتسويق و النشر (القاهرة)، ج1، ط1، 2007، ص28.

[4]– المرجع نفسه، ص39، 40-42.

[5]– أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب (القاهرة)، ط5، 1998م، ص33.

[6]- محمود إسماعيل صالح: المعجم السياقي للتعبيرات الاصطلاحية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت (لبنان)، ط1، 1996، [المقدمة، ح].

[7] -Nida, E,A: Componential analysis of meaning, Mouton, The Hague, (Paris), P113,114.

[8]– مُحَمَّد مُحَمَّد داود: الدلالة والكلام؛ دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة، دار غريب (القاهرة)، 2002، ص312.

[9] - عادل مصطفى: فهم الفهم؛ مدخل إلى الهرمنيوطيقيا من خلال أفلاطون إلى غادامير، رؤيا للنشر (القاهرة)، 2007، ص17.

[10]– انظر، نصر مُحَمَّد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، دار الوحدة، جدة (السعودية)، ط1، 1983، ص20.

[11]– أحمد عبد المهيمن: إشكالية التأويل بين الغزالي وابن رشد، دار الوفاء، الاسكندرية (مصر)، 2000، ص32.

[12]– محمّد فتّاح: التلقي والتأويل؛ مقاربة نسبية، المركز الثقافي العربي، بيروت (لبنان)، ط1، 1994، ص95.

[13]– انظر، فتحي بو خالفة: شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة، عالم الكتب الحديثة، أربد (الأردن)، 2010م، ص20.

[14]– المرجع نفسه، ص20.

[15]– نصر حامد أبو زيد: فلسفة التأويل؛ دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي، دار التنوير، بيروت (لبنان)، ط1، 1983م، ص13.

[16]–انظر، عبد الرحمان حجازي: البلاغة والتأويل؛ الصورة الشبهة في شعر المؤيد في الديوان الشرري، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة)، 2008، ص167.

[17]– معمر بن المثنى التميمي أبو عبيدة: مجاز القرآن، تح: مُحَمَّد فؤاد سركين، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان)، ط1، 1981، ص18.

[18]– مُحَمَّد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، دار الفكر، بيروت (لبنان)، ج1، 1978، ص88.

[19]– انظر، أحمد عبد المهيمن: إشكالية التأويل بين الغزالي وابن رشد، ص41.

[20]– أمال منصور: استراتيجية التأويل عند أدونيس، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، 2010م، ص65.

[21]– المرجع نفسه، ص65.

[22]– حافظ اسماعيل علوي: التداوليات ؛ علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، عمان (الأردن)، ط2، 2014 ص131.

[23]– أبو حامد الغزالي: المستصفى من علوم الأصول، المكتبة التجارية الكبرى، (القاهرة)، ج1، ط1، 1937م، ص157.

[24]– فايز الداية: علم الدلالة بين النظرية والتطبيق؛ دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، دار الفكر، دمشق (سوريا)، ط2، 1996، ص88.

[25]– أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص11.

[26]– محمود السعران: علم اللغة؛ مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت (لبنان)، ص261.

[27]– حافظ إسماعيل علوي: التداوليات؛ علم استعمال اللغة، ص31

[28]– خليفة بوجادي: اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، سطيف (الجزائر)، ط1، 2009، ص151.

[29]– مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب؛ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي، دار الطليعة، بيروت (لبنان)، ص235.

[30]–كريم زكي حسام الدين: اللغة والثقافة (دراسة أنثرولغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية)، دار قباء (القاهرة)، ص100.

[31]– أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب الحديث (القاهرة)، ط2، 2009، ص152.

[32]– خيرة حواس: الأبعاد الثقافية وأثرها في ترجمة التعابير الاصطلاحية، مجلة المشعل، جامعة تلمسان (الجزائر)، ع17، ديسمبر 2017، ص18.

[33]– انظر، سمير شريف استيتية: اللسانيات (المجال، والوظيفة، والمنهج)، ص709.

[34]– المرجع نفسه، ص289، 290.

[35]– انظر، سمير شريف استيتية: اللسانيات (المجال، والوظيفة، والمنهج)، ص719. (بتصرف)

[36]– ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري: لسان العرب، ج10، دار صادر، بيروت (لبنان)، ط3، 1414هـ، ص43/مادة (ع ج ز).

[37] -https://www.almougem.com/search.php?query=السندان

[38]– ابن منظور: لسان العرب، ج7، ص14.

[39]– المرجع نفسه، ص14/ مادة (ز ب ي)